قصة إلقاء الأول بين عبد الناصر وعامر

- مولد الثورة بين الخرطوم وأم درمان
- جهلاء فى منصب القيادة!
- "فكرة الحياة" لا تختفى:
- خمر بأمر القائد..!
- هروب من النافذة.!
- خطة ماكرة..!

www.anwarsadat.org

بهذه الحلقة يبدأ الطور الثانى من أطوار التمهيد لثورة 23 يوليو.. وهو الطور الذى بدأه جمال عبد الناصر، بعد التجارب العديدة التى مرت بنا فى تلك السنوات الأولى المليئة بالمخاطر والمشقات..

أن كان جمال قد أشعل الجذوة فى ليالى منقباد.. وأن كانت هذه الجذوة قد ظلت مشتعلة بأيدينا، لهب بها سواد الأعوام المظلمة .. فقد ظل جمال مراقبا لهيبها مسجلا لانتصاراتها، مستفيدا من تجاربها..

كان فى صمته، خلال نقله إلى السودان، وبعد عودته من هناك ما بعد لجذوره أخرى لا يظهر ضوءها، ولا يفرغ زيتها.. جذوة حكيمة لا تشعل النار ولكن تضئ الطريق..

وفى خلال الأعوام التى كنا فيها نظهر لنختفى، ونختفى لنظهر.. كانت عينا جمال الفاحصة تبحث عن الرجال والأعوان..

ولعل انتصاره الأول فى هذا الميدان.. كان لقاؤه لعبد الحكيم...

وبقصة هذا اللقاء.. يبدأ هذا الطور، من أطوار التمهيد للثورة.

إلى السودان

السودان...

السودان.. الذى يهرع اليوم شيقا للقاء مصر.. وتهرع مصر للقائه جذلى.. كان فى تلك الأيام منفى المغضوب عليهم من رجال الجيش...

ولا يسال أحد: لماذا كان السودان منفى؟! فهكذا كان.. وكانت أسوان أيضا منفى.. والعريش.. والصحراء الغربية.. وكل بقعة خلا خارج القاهرة .. والإسكندرية!

وفى الجيش، كان الملازم جمال عبد الناصر ضابطا صغيرا مغضوبا عليه.. فمنذ أيام منقباد وثورتنا على الأوضاع هناك.. على البعثة الإنجليزية.. وعلى اللواء المصرى الذى كنا نسميه السلطان عبد الحميد.. منذ تلك الأيام المجيدة من أعوام الشباب.. كسب جمال كراهية القومندانات.. وحقدهم.. وتوقعهم الفرصة لإيقاع الأذى به.

وكان معروفا أن الكتيبة الثالثة ستتحرك إلى السودان..

وعندما يقترب رحيل كتيبة إلى السودان، يرسلون إلى الكتائب الأخرى فى أنحاء الديار، لكى تبعث إليهم بأسماء" المغضوب عليهم" من ضباطها.. لكى يساقوا إلى المنفى يوم الرحيل..

ولكنه لم ينتظر أن ترسل به كتئيبه إلى المنفى..وأنما سارع بنفسه ليقدم أسمه، ليكون بين الراحلين...

ودهش إخوانه لهذا التصرف... وكانوا يحبونه، ويحبون أن يبقى بينهم..

ولكنه كان قد رسم لنفسه طريق السير.. وكان قوة مجهولة تدفعه دفعا إلى زيادة شطر الوادى الحبيب.. واستقراء الحقيقة فيه...

عبد الحكيم.. هناك

وكانت الكتيبة الثالثة التى تتهيأ للرحيل، لا تزال فى المكس بالإسكندرية وكان على جمال أن يمضى إلى الإسكندرية ليلتحق بها، ثم يرحل معها إلى أرض الجنوب...

وفى ليلة السفر إلى الإسكندرية، التقى به الصاغ عثمان نصار من ضباط كتيبته، وكان من أصدقائه الخلصاء.. وسأله:

- **أترحل إذا؟**

بإذن الله..

- **هل تعرف أحدا من الضباط هناك؟**

أبداً..

- **أسال إذن عن الملازم عبد الحكيم عامر، وتعرف به..**

ولعل هذا هو كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان نصار إليه عن عبد الحكيم...

فلم يكن جمال ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الأسس السطحية البسيطة.. ولم يتوقع أبدا أن يكون عبد الحكيم ــ هذا ــ صديق عمره، ورفيق جهاده الكبير...

ولا يذكر جمال عن يوم لقائه الأول بعبد الحكيم شيئا.. ولكن عبد الحكيم هو الذى يذكر...

يذكر أن نبأ وصول جمال إلى الإسكندرية كان قد سبقه إلى هناك..

ويذكر أنه قام من فوره، وذهب يستقبله كصديق، أو زميل جديد..

ويذكر أنه قدم إليه نفسه.. ثم قدم إليه التسهيلات المستطاعة...

ويذكر أيضا.. أن جمال كان" قرفانا" وأنه قابل صنيعه شاكرا.. ولم يبد عليه أثر لهذه التوصية التى كان يحملها من الصاغ نصار...

نقيضان...

وقد تسجل الأيام أن لقاء عد الحكيم وجمال قد تم فى ذلك اليوم.. بالإسكندرية...

ولكن هذا اللقاء، لم يكن شيئا...

لم يكن هو اللقاء الحقيقى بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك أبدا فى حياتهما.. والذين ارتبطا معا بأقوى ما يرتبط به صديقان.. رباط العقل والقلب والكفاح المشترك..

أما اللقاء الحقيقى.. والتعارف الكامل.. فقد بدأ فى الخرطوم...هناك عاشا معا.. وعرف كل منهما صاحبه.

ولكنهما لو يقطعنا مرحلة التعارف فى يوم أو أثنين، ولا فى أسبوع أو أسبوعين...

فقد كانا نقيضين فى كل شئ...

كان جمال شديد التحفظ..

وكان عبد الحكيم شديد الاندفاع..

كان جمال هادئ الأعصاب دائما.. مهما حدث، ومهما رأى.. وما أكثر ما كان يرى مما يشقى النفس الأبية...

وكان عبد الحكيم سريع الانفعال، سريع الغضب تستفزه الصغيرة والكبيرة على حد سواء!

والذين يعرفون عبد الحكيم اليوم، فى هدوئه، وصمته، واتزانه البالغ، قد لا يصدقون هذا الكلام، وقد ينكرون هذه الصورة...

ولكن الأيام التى مرت بعبد الحكيم فى أثنى عشر عاما.. والأحداث التى هزته هزا.. قد استطاعت أن تغير فيه كل شئ.. وأن نبدله أنسانا آخر، لا يعرفه اليوم من عرفه بالأمس القريب...

الأسد المصور

وأخذت عوامل كثيرة تعمل فى توطيد الصلة والصداقة بين الضابطين الصغيرين..

وكان أول هذه العوامل.. قومندان الكتيبة.

كأن قومندانا من نوع فريد قل أن يوجد بين الضباط مثله..

فقد عرفنا قومندانات ذلك الزمان، قططا فى ثياب أسود..

عرفناهم أذلة للضباط الإنجليز.. أعزة علينا، نحن أبناء الفلاحين..عرفناهم يتحكمون فى مصائرنا وأعمالنا وخطواتنا بالباطل أكثر مما يتحكمون بالحق...

بل لعلنا لم نعرفهم يتحكمون بالحق أبدا.. ولو كانوا كذلك ما غضبنا ولاعتبراهم صلفهم من مستلزمات الحياة العسكرية...

ولكن الصلف والغطرسة، كانا مظهر التعويض عن مركبات النقص التى كانوا يعانون منها...

جهلاء.. فى مناصب القيادة..

أذلة لأصغر ضابط أنجليزى. وعلى أكتافهم المزيد من النجوم والتيجان..

وتحت أمرتهم، شبان صغار.. كبرت بالعلم مقاييسهم، وبالصورة والوطنية أنفسهم وقلوبهم..

هكذا كان موقف القومندانات منا...

ا,هذه كانت أسباب هذه الموقف...

ولكن قومندان الكتيبة الثالثة فى السودان، كان يجب أن يتحكم فى ضباطه الصغار، تحكما من نوع جديد، لم نعرف له فى الجيش مثيلا.

من النافذة!

كان الرجل ولوعا بالشراب.. ما يكاد المساء يقبل، حتى يعد عدته لسكرة تذهب بعقله.. وتربه نفسه أسدا هصورا يملا زئيره الفلوات...

ولم يكن يجب الشراب وحده...

ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الإنجليز.

فكان الحل الطبيعى عنده.. أن يأتى بضباطه.. بالأمر!! وأن يكلفهم بمجالسته وبمشاربته كلما جاء المساء..

وتصوروا.. شرابا بأمر القائد.. وفى مجلس الأسد الهصور.. لقد كان الضباط جميعا ــ حتى الذين يشربون الخمر منهم ــ يضيقون بهذا التكليف الثقيل..

ولكن جمال، لم يكن يضيق فقط، بل كان يضيق ويسخط ويقاوم... ويفسد على القائد مجلس الشراب...

وماذا يستطيع أن يصنع، وقد أمتنع عن المشاركة فى الشراب، فصدر === فى جلسة الشراب...

وكانت ليلة لا ينسابها جمال، ولا عبد الحكيم.ز حينما حاولا أن يتركا مجلس القائد.. فرفض وزمجر وقام إلى أبوابه فغلقها...

وتلفت جمال حوله.. وانتظر حتى شرب القائد كأسين أو ثلاثة. وبدأ يصول فى المكان ويزار...

ثم أشار إلى عبد الحكيم.. وقفز من النافذة.. وقفز عبد الحكيم خلفه.. وتبعهما الضباط جميعا...

وعاد القائد إلى مجلس الشراب، ليجده خاليا خاويا من السمار...

ولم يغن صراخه ولا زئيره شيئا!.. فبعد حقائق كان الضباط جميعا قد استقروا فى إحدى دور السينما يشاهدون فيلما ضاحكا...ويضحكون..

والذى لم يضحك فى تلك الليلة.. هو القومندان المهيب!.

ومنذ الصباح التالى، بدأت حرب باردة بين القومندان وبين جمال وعبد الحكيم.. فقد فهم أنهما كانا رأس الحربة التى فتحت الثغرة فى نافذة داره...

وبلغ التفنن من الطرفين أقصاه فى هذه الحرب الباردة.. حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما.. لآن عبد الحكيم قد هبط إلى القاهرة ليلتحق" بفرقة" دراسية من فوق الجيش...

انتفاع...

وادرك القائد انه لم يعد أمامه سوى جمال.ز وأن جمال وقد أصبح وحده الآن، لن يجد من يشاركه فى معارك كل يوم!

ولكنه لم يلبث أن نكب فى فطنته.. فقد استمرت الحرب الباردة بينه وبين جمال.. وزادت فنونها..

وفى يوم من الأيام، أصدر القومندان أمره بنقل جمال إلى جبل الأولياء..ليستريح منه.

واستراح فعلا.. ولم يره بعد ذلك حتى اليوم..

وأتم عبد الحكيم فرقته، وعاد إلى الخرطوم.. فلم يجد" جمال" ووجد أركان حرب الكتيبة يسأله فى حذر:

- **ماذا بينك وبين القومندان؟..**

ويجيب عبد الحكيم فى حذر أيضا:

- **لماذا؟**

فيسر إليه أركان الحرب، أن القومندات لم يكد يعلم بنبأ عودته، حتى استشاط غضبا وأصدر أمره بنقله إلى كسلا..

خطة...

وكان عبد الحكيم قد عرف أن "جمال" قد نقل قلبه إلى جبل الأولياء.. وفهم أن القومندات يريد التخلص منه كما تخلص من جمال..

وكان عبد الحكيم يعرف نفسية القومندان جيدا.. ويعرف أن هذا النقل ليس الا انتقاما..

وكان يريد أن يذهب إلى جبل الأولياء بدلا من كسلا بأى ثمن...

وابتسم عبد الحكيم فى وجه أركان الحرب، وقال له:

- **أن" عفشى" لا يزال مربوطا.. وأنا أحب أذهب إلى كسلا..**

وتركه قليلا ريثما بلغ هذا القومندان.. ثم طرق باب القومندان، ودخل.. ولم يكد ينته من التحية حتى سأله فى تلهف:

- **متى أذهب إلى كسلا؟!**

ودهش القومندان، وقد وقع فى روعه أن لعبد الحكيم أصدقاء أو أقرباء أو مصالح من أى نوع هناك.. ثم زمجر وقال:

- **من قال لك أنك ذاهب إلى كسلا.. أنى لن أبعث بك إليها..**

وستذهب إذا إلى جبل الأولياء!!

ولعل هذه كانت أول خطة من خطط عبد الحكيم الماكرة الماهرة!

وكان صباحا مشرقا عندما ذهب عبد الحكيم إلى جبل الأولياء. إلى صديقه. جمال..

فكر الحياة

وفى جبل الأولياء.ز زادت الصداقة عمقا بين الزميلين.. واكتمل التفاهم بينهما.. فى كل شئ..

صوره

كانا يقضيان معا سهراتهما يلعبان الشطرنج

وكانا يقضيان معا أيامهما.. فى رحلات الصيد

وعندما يذكر أحدهما تلك الأيام وتلك الليالى، لا يكاد يذكر الشطرنج ولا يصيد، بقدر ما يذكر لمشاجرات الكثيرة التى تقع بينهما.

فليس يسيرا أن تقوم صداقة حقيقية بين هذين الرجلين دون أن يسبقها عدد كبير من المشاجرات!!

ولم يكن فى جبل الأولياء من الضباط سواهما...

فكان جمال هو القومندان، وكان عبد الحكيم ضابطه الوحيد.! ولم يكن بد إذا تشاجرا صباحا أن يصطلحا فى المساء.. وإذا تشاجرا مساء أن يصطلحا فى الصباح.!

ولكن هذه الفترة.. قد انتهت بالتفاهم التام بينهما.. وبالتفكير المتصل الموحد.. فى حالة الجيش.

فقد أقنتا تماما، أن المشكلة ليست مشكلة الكتيبة.. ولا القومندان ولا الرؤساء الإنجليز...

ولكنها مشكلة الجيش كله.. والبد كلها..

وكان الحاكم العام فى السودان يزودهما بكؤوس المرارة والحقد على الاستعمار والأوضاع القائمة فى البلاد.. كان الحاكم العام فى السودان، هو القائد الأعلى للجيش هناك، بما فى ذلك الجيش المصرى.. وكان لا يخفى احتقاره لجيش مصر.. ولا كراهيته للمصريين ولا نزعاته الاستعمارية العاتية التى لا تقاوم.

وما حدث فى تباب الشريف..

حدث فى جبل الأولياء..

أنها الجذوة التى يوقدها جمال فى بساطته وعمقه واتزان تفكيره...أنها القرار، والتصميم الذى تتمخض عنه الناقشات معه.

أنها الفكرة" فكرة الحياة" التى انبعثت هناك فى تباب الشريف، قد كسبت رجلا جديدا.. عبد الحكيم عامر..

لابد من القضاء على الاستعمار.. بأى صورة، وبأية وسيلة.. لابد من تطهير أرض مصر والسودان من هذا العار الجاثم فيهما.

لابد من عمل شئ .. شئ عظيم..

ومثلما حدث معنا أيام تباب الشريف. وحين صدرت حركة التنقلات فى الجيش، فذهب كل منا إلى مكان.. حدث مع جمال وعبد الحكيم..فلم تلبث الأوامر أن صدرت بنقل عبد الحكيم إلى منقباد.. ونقل جمال إلى الصحراء الغربية.

وافترقا فى ذلك اليوم افتراقا ظاهرا.. ولكن الصلة بينهما لم تزد الا وثوقا وقربا، حتى التقيا مرة أخرى فى القاهرة فى ديسمبر 1942...عقب حادث 4 فبراير المشئوم..

وعندما التقيا.. بدأت أحداث جديدة، لم تعرف القاهرة أكثرها.. ولكن تسجلها هذه الصفحات.

www.anwarsadat.org